

أيها الولد

تأليف حجة الإسلام
محمد بن محمد أبي حامد الغزالي

أيها الولد

ألف هذا الكتاب حجة الإسلام محمد بن محمد أبي حامد الغزالي ٤٥٠-٥٠٥ هـ. رسالة حققها الأستاذ على محيي الدين القره داغي.

كتب الإمام الغزالي هذه الرسالة إلى تلميذه. وفي كلمة «أيها الولد» دالة الأستاذ على التلميذ هذه الرسالة كتبها على هدى الإسلام واستمدها من تراثه في التربية واستجمع فيها تجربته الذاتية في التحصيل والاستزادة والاستفادة والإفادة.

يدعو الإمام الغزالي إلى دراسة ألوان العلوم يقول: (إنه لا بد من فهم ومعرفة علوم الحساب والهندسة وهيئة العالم، والعلوم تتعلق بالكواكب والأجسام المفردة كالماء والهواء... والأجسام المركبة كالحيوان والمعادن وأسباب تغيرها بل جعل علماء الإسلام كل علم تحتاج إليه الأمة حجة عامة كالطب والصناعة والزراعة... من فروض الكفاية استنادا إلى آيات وأحاديث تدل على ذلك.

إنها تعبير عن موقف الإسلام من العلم... موقف حضارى واع

وقد نصح الإمام الغزالي بهذه النصائح الثماني:

* أن لاتناظر أحداً، ففي المناظرة آفات كثيرة فهي منبع كل خلق ذميم لكن تجوز إذا أردت إظهار الحق وذلك بأن لاتفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك، أو على لسان غيرك.

* الحذر من الوعظ بدون العمل. وإذا وعظت فاحترز عن التكلف، وثناء الناس عليك.

* أن لا تخالط الأمراء والسلاطين .

* أن لا تقبل شيئا من عطاياهم، لأن الطمع منهم يفسد الدين لأنه يتولد عنه المداينة .

* أن لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة .

* العطايا والهدايا من الحكام الظلمة تورث محبتهم... ومن أحب أحدا يحب طول عمره ويقاهه بالضرورة... وفي محبة الظالم إرادة في الظلم على عباد الله تعالى، وإرادة خراب العالم... وأى مصيبة أضمر من هذا على العاقبة والدين؟ وإياك أن يخدعك استهواء الشياطين بأن تأخذ من الظالم، الدينار والدرهم بحجة أن إنفاقها في سبيل الله خير من إنفاق الظالم في اللهو فإن اللعين - أى الشيطان - قد قطع أعناق الكثير بهذه الوسوسة .

ومدرسة الإسلام في التربية والتعليم يمثلها خطاب الله لرسوله عليه السلام: (فبما رحمة من الله أنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) .

إذا هى الرحمة واللين والسماحة وبشاشة الوجه ولطف الجانب والشورى واحترام الناس .

قال رسول الله عليه السلام لأبى موسى ومعاذ عندما بعثهما إلى اليمن: (يسرا ولا تعسرا وعلما ولا تنفرا) رواه البخارى فى صحيحه .

وقال عليه السلام (علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف) رواه الطيالسى فى مسنده .

وحين تحدث الإمام الغزالي عن آداب المتعلم نص على طهارة الباطن بتنقية النفس من الأخلاق الرذيلة والأوصاف المذمومة لأن العلم عبادة القلب وصلاة السر وقرىبى إلى الله تعالى .

وطهارة الباطن هى الأدب الأول .

أما الأدب الثانى فهو التفرغ للعلم فالعلم كما قيل لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك .

الأدب الثالث، أدب التلميذ مع شيخه وأستاذه .

فالعلم لا يدرك إلا بالتواضع مع العلماء، فعلى طالب العلم أن يكون مؤدبا وقورا مع أستاذه لا يتعدى حرمة مجلسه، وينظر إليه نظرة احترام وإجلال وأن يلقى إليه زمام أمر التعليم كله ويدعن لنصيحته ويقوم بخدمته بقدر ما يستطيع.

قال الإمام على كرم الله وجهه (من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيديك، ولا تعمد بعينيك غيره.. وإن كانت له حاجة، سبقت القوم إلى خدمته، ولا تشبع من طول صحبتته).

ثم يضيف (إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تلج عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تنفسي له سرا، ولا تغتابن أحدا عنده، ولا تطلبين عثرته. وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى).

وقد فصل هذا أكثر الأمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين».

ومن الأدب أن يصون طلب العلم نفسه عن التلهي بغير الدرس، ويحفظ يديه عن لعبث، والتشبيك بهما، وعينيه عن كثير التقليل إلى هنا وهناك، وأن يتقى المزاح وكثرة الضحك... قال الشافعي رحمه الله (كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحا رقيقا هيبه له لئلا يسمع وقعها).

ومن ألوان الأدب التي وقفت عندها في هذا الكتاب قول الإمام الغزالي بعدم الإقتصار على علم واحد وهو ما تفعله الآن الدول المتقدمة.. ففيها الآن مزوجة بين «العلمي» و«الأدبي»، وفيها ثنائية التخصص.

يقول الإمام الغزالي (ياخذ من كل شيء أحسنه، لكنه يتخصص في العلم الميسور لديه والمجد عنده).

وحين يركز الإمام الغزالي على «التلميذ» والتلميذ مهم جدا، بأسر النفس أن يتضمن تراثنا آداب العالم أو «الأستاذ».

الأول: أدبه مع نفسه وعلمه مع مراقبة الله تعالى... وأن يكون طليق الوجه حليفا نزيها... مجتنبيا كل الاجتناب والحدق والحسد والرياء والإعجاب بالنفس واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات وينبغي أن يحافظ على مظهره الخارجي فيكون نظيفا طيب الرائحة... ومهتما بتسريح شعر رأسه ولحيته، ويلبس أحسن ثيابه فقد قال عليه السلام «إن الله جميل يحب الجمال».

ومما هو ضرورى للعالم أن لا يذل العلم ولا يذهب به إلى المتعلم مهما كان كبيرا إلا للضرورة، فإن الشعار الذى أطلقه السلف الصالح هو «العلم يؤتى إليه ولا يأتى إلى أحد» .

الثانى: أدبه فى درسه واشتغاله .

فينبغى للعالم أن لا يغفل عن العلم والاستذكار والاستحضار فيبقى مجتهدا مشغولا بالعلم قراءة وإفراء، ومطالعة، وتعليقا ومباحثة وتحقيقا وتصنيفا ولا يألو جهدا فى المزيد من المعلومات والتعمق فى العلوم .

الثالث: أدبه مع تلاميذه .

وذلك بأن يضعهم موضع أولاده... ولا بد للعالم أن لا يفرق بين أولاد الفقير والغنى .

الأدب الرابع: عدم أخذ الأجر على الدرس مع جواز هذا

ومن الآداب الجليلة: الأدب مع الكتب

فلا بد للعالم أن يعتنى بالكتاب ويحاول أن يجمع من كل فن ما يحتاج إليه، ولا سيما المصادر الهامة الأصيلة فيشترى، ويستعير وينسخ بيده كل ما يحتاج إليه فصلاح العالم، كتبه وروضته مكتبته .

وهكذا أرسى تراثنا أدب العلم للطالب والأستاذ استجابة حميمة لاحتفال الإسلام بالعلم واحتراف المجتمع بالقيمة... وليس قيمة أكبر من دارس وعالم وكاتب وكتاب .